

التَّعَاوُن

خطبة جمعة بتاريخ / 8-3-1440 هـ

الحمد لله ؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ؛ من يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ بلَّغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين ، فما ترك خيراً إلا دل الأمة عليه ، ولا شراً إلا حذرنا منه ؛ فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أمَّا بعد أيها المؤمنون: اتقوا الله تعالى ، وراقبوه سبحانه مراقبة من يعلم أن ربّه يسمعه ويراه ، واعلموا -رعاكم الله- أن تقوى الله جل وعلا هي خير زادٍ يبلغ إلى رضوان الله ، ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [البقرة: 197] .

معاشر المؤمنين: التعاون أمرٌ خطيرٌ للغاية من حيث تأثيره في تحقيق المصالح والأهداف والغايات والمبتغيات أيّاً كانت ؛ خيراً أو شراً ، نفعاً أو ضراً ، سنةً أو بدعةً ، هدايةً أو ضلالاً ، كفافاً أو إيماناً . ولهذا -عباد الله- وجب على العبد المؤمن أن يكون على فقهٍ عظيمٍ ودرايةٍ متينةٍ في هذا الباب «باب التعاون» حتى يرى أين يضع قدمه وأين يسير ؛ فإن هذا الباب «باب التعاون» بابٌ إما أن يكون فيه العبد مفتاحاً للخير معوّناً على الصلاح ، أو يكون على الضد من ذلك ، عياداً بالله من ذلك ، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((إِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَعَالِيْقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ نَاسًا مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَعَالِيْقَ لِلْخَيْرِ ؛ فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ مَفَاتِيحُ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ)) .

معاشر العباد : لا بد من فقهٍ في باب التعاون حتى ينظر المرء في سيره في هذا الباب ؛ أهو من المتعاونين على الخير؟ أو المتعاونين على ضد ذلك عياداً بالله .

أيها المؤمنون : في القرآن آية عظيمة فادّة جامعة في هذا الباب «باب التعاون» رسمت للمسلم منهجاً قويمًا وحددت له مسلكاً رصيناً ؛ في ضوئه يكون سيره في هذا الباب على سداد ، وطريقه فيه على صواب ؛ إنها -

عباد الله- قول الله جل وعلا في خاتمة آية من كتابه ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [المائدة: 2] .

أيها المؤمنون: في هذه الآية الكريمة بيان أن التعاون على نوعين :

1. تعاون على بر وتقوى .

2. أو تعاون على إثم وعدوان .

أما النوع الأول ؛ فإن الله جل وعلا أمر عباده به وحثهم عليه ورغَّبهم فيه وأمرهم أن يكونوا من أهله ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ ؛ و«البر» -عباد الله- كلمة تجمع فعل الخيرات و صنوف الطاعات وأنواع العبادات والقربات . و«التقوى» تجمع الانكفاف عن المعاصي والذنوب والبُعد عن الخطايا والآثام ، فإذا اجتمع البر والتقوى كما في هذه الآية الكريمة فإن البر: فعل المأمور ، والتقوى: ترك المحذور . وعليه -عباد الله- فإن التعاون المأمور به الذي أمر الله به العباد ودعاهم إليه أن يتعاونوا على كل ما كان من البر والتقوى ؛ يتعاونوا على الطاعات والعبادات وأنواع القربات ، يتعاونوا على الانكفاف عن المعاصي والآثام وكل ما يسخط الله جل في علاه ، ويأتي في مقدمة ما يكون التعاون عليه التعاون على صحة المعتقد وسلامة الإيمان ؛ فإن هذا أعظم البر بل هو أساسه ، ثم التعاون على فعل الفرائض وواجبات الدين ، ثم التعاون على الانكفاف عن المعاصي والآثام ، ثم التعاون على فعل الرغائب والمستحبات .

أيها المؤمنون: وأما النوع الثاني من التعاون فهو نوعٌ نهى الله عباده عنه وحذرهم منه ودعاهم إلى اجتنابه ؛ ألا وهو التعاون على الإثم والعدوان ﴿ وَكَلَّا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ؛ والإثم -عباد الله- المعاصي بأنواعها . والعدوان -عباد الله- ظلم الخلق بأنواعه ؛ فهذا عباد الله أمر نهى الله جل وعلا عباده من أن يتعاونوا عليه أو يعين أحد منهم آخر على فعله ، فإن هذا مما يسخط الله جل في علاه ويوجب عقابه . وكما أن الدال على الخير والمعين عليه كفاعله ، فإن الدال على الشر والمعين عليه كفاعله ، لأن هذا الفاعل للشر إنما فعله بإعانة من أعانه أو دلالة من دله ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِمَّنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴾ [النحل:25] ، وفي الحديث قال النبي عليه الصلاة والسلام : ((مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)) . ولهذا -عباد الله- علينا أن نعي جيدا أن باب التعاون بابٌ خطير ؛ فإن كان في خير وطاعة وعبادة وإحسان وبر وصلة فأنعِم به وأكرم ، وإن كان في ضد ذلك فالويل ثم الويل لمن كان من أهل الإعانة على هذه الأمور .

عباد الله : ولا بد من التنبيه في هذا المقام أن الناس في هذا الزمان الذي تيسرت فيه أجهزة للتواصل ؛ أحسن من أحسن في استخدامها ، وأسوء أيضا من أسوء في استخدامها ، فلو نظرت نظرة في تعاملات الناس مع هذه الأجهزة في باب التعاون لوجدت تباينًا عظيمًا واختلافًا شاسعًا ، فمن الناس من يستعمل هذه الأجهزة في الخير والبر والإحسان والتعاون على طاعة الرحمن ، ومنهم عيادًا بالله من ذلك من يستعملها في إثم وخطيئة أو إعانة على ذلك .

نسأل الله عز وجل أن يعيدنا أجمعين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، وأن يجعلنا أجمعين من المتعاونين على البر والتقوى ، وأن يعيدنا أجمعين من التعاون على الإثم والعدوان . أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله كثيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد أيها المؤمنون : اتقوا الله تعالى .

عباد الله: وفي باب التعاون على الخير -وهو طاعة من أعظم الطاعات وقربة من جلائل القرب- ينبغي أن يكون نصب المتعاونين على الخير قاعدة الشريعة في قبول العمل -التعاون وغيره- أن العمل لا يُقبل إلا إذا كان خالصاً لله صواباً على السنة ؛ فعلى من علت همته في هذا الباب -باب التعاون على الخير- أن يخلص دينه لله ، وأن يجعل عمله في هذا التعاون خالصاً لله لا يريد به شهرة ولا سمعة ولا مطمعاً دنيوياً ، وإنما يتبغى بذلك وجه الله وأجره وثوابه ، وأن يُعنى في الوقت نفسه بأن يكون في هذا الباب على السنة والصواب مهتدياً مقتدياً متأسياً بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام وبصحابته الكرام ، فإن من كان على الأثر كان على الطريق .

وصلُّوا -رعاكم الله- على محمد بن عبد الله كما أمركم الله بذلك في كتابه فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)) .

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما صلَّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ ، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنَّك حميدٌ مجيدٌ . وارضَ اللهم عن الخلفاء الراشدين ؛ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي ، وعن الصحابة أجمعين ، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ، وعنَّا معهم بمنك وكرمك وإحسانك يا أكرم الأكرمين .

اللهم أعز الإسلام والمسلمين ، اللهم انصر من نصر دينك وكتابك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ، اللهم انصر إخواننا المسلمين المستضعفين في كل مكان ، اللهم كن لهم ناصرًا ومعينًا وحافظًا ومؤيدًا، اللهم وعليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ، اللهم إنا نجعلك في نحورهم ، ونعوذ بك اللهم من شرورهم . اللهم آمنا في أوطاننا ، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا ، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك يا رب العالمين. اللهم وفق جنودنا المرابطين في حدود البلاد ، اللهم وفقهم بتوفيقك وأيدهم بتأييدك يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم

وفق ولي أمرنا لهداك ، واجعل عمله في رضاك ، اللهم وفقه وولي عهده لما تحبه وترضاه من سديد الأقوال وصالح الأعمال .

اللهم آت نفوسنا تقواها، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفة والغنى ، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، اللهم وأصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين .

اللهم واغفر لنا ذنبا كله؛ دقّه وجلّه ، أوله وآخره ، علانيته وسرّه ، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم وذرياتهم وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات . اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفارا؛ فأرسل السماء علينا مدرارا ، اللهم إنا نتوجه إليك يا ربنا بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا وبأنك أنت الله لا إله إلا أنت يا من وسعت كل شيء رحمة وعلما ؛ أن تسقينا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من اليائسين ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا، اللهم إنا نسألك غيثا مغيثا ، هنيئا مريئا ، سحّا طبقا ، نافعًا غير ضار ، عاجلاً غير آجل ، اللهم أغث قلوبنا بالإيمان وديارنا بالمطر ، اللهم إنا نسألك سقيا رحمة لا سقيا هدمٍ ولا عذابٍ ولا غرق ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا ، وزدنا ولا تنقصنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا . ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .